شعرية السؤال بين السائل والمسؤول سؤال الذات انموذجاً عند شعراء القرن الاول من العصر العباسي

أ.م.د. مريم محمد جاسم
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية

شيماء كوان سالم حسين
وزارة التربية
تربية صلاح الدين

المقدمة

الحمدُ لله ربِّالعالمين, والصلاة والسّلام على سيد الخلق وإمام الأنبياء والمرسلين, وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين, وعلى صحابته الأوفياء الغر الميامين, وبعـــــــدُ . . .

فإنَّ الشعري العربي القديم لا يزالُ محط أنظار الدارسين, ومهوى افئدتهم, ويستأثر اهتمامهم, ومما أستأثر اهتمامنا السؤال في الشعر العربي وتكراره كثيراً, ولاسيما شعراء العصر العباسي. فقد تكرر السؤال في قصائدهم, وقد استوقفنا سؤال الشعراء لذواتهم لما يحمله من شعرية وابداع تضفي جمالية على

النص الشعري, فكان موضوع بحثنا (شعرية السؤال بين السائل والمسؤول سؤال الذات إنموذجاً)وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثاً. وقدتناولنا في التمهيد تعريف الشعرية لغةً واصطلاحاً, وتعريف السؤال لغةً واصطلاحاً. إما المبحث فكان عن شعرية السؤال بين السائل والمسؤول سؤال الذات إنموذجاً. وقد تناولنا فيه نصوص لشعراء القرن الأول نصوص شعرية متضمنه سؤال الشعراء لذواتهم, وسؤال الشعراء إما لشدة حيرتهم وتعجبهم أو لحزن شديد في دواخلهم حاولوا التخفيف بسؤال ذواتهم. وقد اعتمدتُ على مصادر ومراجع عديدة منها دواوين الشعراء العباسيين وكتب ادبية وبلاغية. وقد توصلنا في نهاية بحثنا إلى مجموعة من الاستنتاجات كانت ثمرةً لجهدنا المتواضع. نسأل المولى عزَّ وجل أنَّا قد وفقنا في عملنا هذا.

التمهيد

الشعرية لغةً:تشتركُ مصادر كثيرة في معنى (الشعرية). فالشعر هو :((شَعَرَ به وشَعُرَ يَشْعُر شِعْراً, وشَعْراً, وشِعْرَةً, ومَشْعُوْرَةً , وشُعُوْراً, وشُعُورَةً, وشِعْرَى, ومَشْعُوراءَ, ومَشْعُوراً, كلهُ : عَلِمَ. وحكى اللحياني عن الكسائي : ما شَعَرْتُ بِمَشْعُورِهِ حتى جاء فلان, حكي عن الكسائي أيضاً : أَشْعُرُ فلاناً ما عَمِلَهُ, وما شَعَرْتُ فلاناً ما عمله, قال : هو كلام العرب. و لَيْتَ شِعْرِي أي: ليت علمي أو ليتني علمت, وليت شِعري من ذلك أي ليتني شَعَرْتُ, قال سيبويه : ليت شِعْرَي فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة)). وجاء لفظ (الشعر) في القرآن بدلالات متعددة

نحو قوله تعالى [١]. ليت شعري ههنا معناه الشعور والفطنة[٢]. وقيل شَعَرتُ إذا فطنتُ و علمتُ وسمي شاعراً لفطنته وعلمه[٣]. والشعُوُرُ الإدراك والإحساس, وعند علماء النفس يطلق على العلم بما في النفس, وعلى ما يشتمل عليه العقل من إدراكات ووجدانيات ونزعات ولذا قالوا : إن للشعور ثلاثة مظاهر هي الإدراك, والوجدان, والنزوع[٤].

الشعرية اصطلاحاً: فالشعرية عموماً ((هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحاثية للأدب بوصفه فناً لفظياً. إنَّها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية. فهي إذن تشخيص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي))[٥] . وتعود محاولة تأسيس شعرية جديدة إلى الشكلانيين الروس الذين سعوا لإقامة علم الأدب من خلال وضع مبادئ مستمدة من الأدب نفسه, وبذلك يكون مصطلح الشعرية مصطلحاً قديماًوحديثاً في الوقت ذاته, وإنْ تنوع هذا المصطلح أحياناً, فإنَّهُ يبقى من ناحية الفكرة منحصراً في إطار البحث عن القوانين التي تحكم العمل الأدبي.ويرى عبدالله الغذامي أنَّ هذا التعبير لا يحمل المصطلح وإنَّما الإنشائية هي التعبير المدرسي العادي[٦]. وأما ما اقترحه فهو مصطلح (الشاعرية) يقول : ((نأخذ بمصطلح الشاعرية لتكون مصطلحاً

---

[١] – سورة الأنعام , آية :١٠٩.٢– لسان العرب , ابن منظور , مادة شعر, ٤\٤٠٨

٣– معاني النحو, فاضل صالح السامرائي:١\٢٧٧

٤– المصباح المنير, أحمد بن محمد علي الفيومي المقري :١٩٠

٥– المعجم الوسيط , مجموعة مؤلفين : ١\٤٨٥

٦– مفاهيم الشعرية, حسن ناظم : ٩

[٦] – الخطيئة والتكفير , عبدالله الغذامي : ٢١

جامعاً يصف اللغة الأدبية في النثر والشعر, ويشمل فيما يشمل مصطلحي الأدبية و الأسلوبية))[٧] . وقد يراد بالشعرية ((الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرتهِ على الانزياح , والتفرد , وخلق حالة من التوتر))[٨].

السؤال لغة : وردَ معنى السؤال في مصادر كثيرة على الرغم من تغيير التعريفات إلاّ إنَّ جميعها تعني الطلب, وهو العلم أو الخبر أو الجواب[٩].

فالسؤال : ((سألتهُ عن الشيء أستخبرتهُ))[١٠]. وقيل أيضاً : ((ما يسأله الأنسان))[١١]. وجاء في اللغة أيضاً :((سألته عن كذا : استعملته وتساءلوا سأل بعضهم بعضاً))[١٢]. وقيل السؤال : ((الكلام الذي تطلب الإجابة عنه))[١٣].

نلحظ من هذهِ التعريفات مهما اختلفت إلاّ أنَّ معناها واحد وهو الطلب, فالسؤال يعني الاستعلام وطلب الجواب. والسؤال قد يكون بأحد أدوات الاستفهام أو بالفعل الدال على السؤال كـــ((سأل, سألت أو اسأل)) . سَأَلَهُ: سؤالاً, ومسألةً: أستخبره عنه قال تعالى: "يا أيُّها اللذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء إنْ تبدلكم تسؤكم" وقوله ايضاً: "فأسأل به خبيرا"[١٤]

٧- المصدر نفسه : ٢١-٢٢

٨- الشعرية, أحمد مطلوب:٩٠

٩- ينظر : السؤال في الشعر الجاهلي حتى عصر بني أمية : ٥

١٠- لسان العرب, مادة سأل :١١\٣١٩ , ينظر : تاج العروس , الزبيدي :٢٩\ ١٥٧ , المعجم الوسيط : ١\٤١١

١١- الصحاح, الأمام اسماعيل بن حماد الجوهري : ٤٦٧

١٢- المصباح المنير في الشرح الكبير :١\ ٢٩٧

١٣- معجم لغة الفقهاء , مجموعة مؤلفين :٢٣٨

١٤- المعجم الوسيط :١\٤١١

السؤال اصطلاحاً:

يتقارب المعنى الاصطلاحي للسؤال من المعنى اللغوي, , فأقدم تعريف له لدى أبى هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية بقوله: ((السؤال يكون طلب الخبر وطلب الأمر والنهي وهو أنْ يسأل السائل غيره, أنْ يأمره بالشيء أو ينهاهُ عنه والسؤال والأمر سواء في الصيغة. وإنَّما يختلفان في الرتبة فالسؤال من الأدنى في الرتبة والأمر من الأرفع فيها))[١٥]

ويتفق معه الجرجاني في التعريفات ((السؤال : طلب الأنى من الأعلى))[١٦]. والمتمعن في السؤال يجده قد يكون بين المتساوين في الرتبة كأن يكون بين الشاعر وصاحبه وبين الشاعر وحبيبته, أو من أدنى إلى الأعلى أي بين الشاعر والسلطة أو حتى يخرج السؤال إلى مسائلة الجمادات والأشياء غير العاقلة كالأطلال والحيوان.

وبدأ شيئاً فشيئاً يتبلور مفهوم السؤال ويتضح أكثر يقول أبو البقاء الكوفي: ((السؤال هو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة, أو ما يؤدي إلى مال , فاستدعاء المعرفة جوابه اللسان واليد خليفة له بالكتابة والإشارة . . . . والسؤال للمعرفة قد يكون للاستعلام, وتارةً للتبكيت ,وتارة لتعريف المسؤول وتنبيه))[١٧]

وتعدد تعريفات السؤال فكل من يعرفه بحسب منظاره للأمور وتجتمع كل التعريفات في أنَّ السؤال هو طلب الفهم, والمفهوم من معنى السؤال يشمل على طلب والمحاورة بين اثنين أي بين مرسل ومتلقي ؛ ولأنَّ السؤال يستوجب سائلاً

---

[١٥]- الفروق اللغوية , ابي هلال العسكري : ٢٥

[١٦]- التعريفات, عبد القاهر الجرجاني :١٢٣

[١٧]- الكليات , ابو البقاء الكوفي : ٥٠١

يسأل ومسؤولاً يتلقى فقد وصفته التحليلات الحديثة للبلاغة بأنَّهُ ((بنية عميقة مُنتجة للدلالة))[١٨] .

إنَّ مفهوم السؤال أعم وأشمل من مفهوم الاستفهام لكون الشاعر يسأل عما يعلم ولا يعلم مما يعطي الاسئلة المطروحة شعرية ودلالة أكثر يقول أبو هلال العسكري: ((إنَّ الاستفهام لا يكون إلاّ لما يجهله المستفهم أو يشك فيه وذلك إنَّ المستفهم طالب لأنَّ يفهم , ويجوز أنَّ يكون السائل يسأل عما يعلم وعما لا يعلم))[١٩].

والقارئ لنصوص الشعراء يجد أنَّهم كانوا مستفهمين وسائلين, فهم مستفهمون عما يجهلون, وسائلون لما يعلمون ولا يعلمون فكلا الحالين يطلب الشاعر الفهم والجواب ((فالاستفهام يعدُ من أساليب الطلب النحوية التي تخرج عن حيدة الأخبار إلى السؤال بفضل دخول الأداة عليه , كي يحرك دلالات معينة في بُنى النص التركيبة))[٢٠].

شعرية سؤال الذات

يعمد الشاعر إلى أسلوب الحوار وطرح الأسئلة إما لشدة قلقه وتوتره, أو لأنه يبحث عن إجابات لأشياء يجهلها, أو ليخفف عن معاناته وألمه. ويعمدإلى أثبات ذاته من خلال محاورتها وتوجيه السؤال إليها, ومراجعة الإنسان لنفسه وأفكاره, من خلال الوقوف معها وقفة تأمل ومحاورتها لإيجاد أماكن الخلل

---

[١٨]- البلاغة العربية قراءة ثانية . محمد عبد المطلب :٢٩١

[١٩]- الفروق اللغوية : ٢٥

[٢٠]- الظواهر الأسلوبية , عدوية عبد الجبار , مثنى عبد الرسول مغير : ٤٦

والضعف فيها ومعالجة مشكلاتها. والحوار مع النفس يخلق دافعية لدى المحاور لمراجعة أفكاره, مما يؤدي إلى مراقبة الإنسان لنفسه وأفكاره في عملية أشبه بالنقد الذاتي وهو ما يطلق عليه اصطلاحاً (حوار الأنا) ويتكون حوار الذات من الأساليب الحوارية كالمناجاة والدعاء واللوم والمعاتبة للذات (النفس اللوامة) والحوار الداخلي (المونولوج) بوصفه حواراً ترجيعياً ينطلق من الذات ويعود إليها[٢١].

إنَّ الشاعر عبر الأساليب الحوارية ينتقل بالأسئلة من الخارج إلى دواخل نفسهِ ومعاناتهِ, فهو عندما يسأل نفسهُ وذاتهُ فهو يعبر عن نفسهِ وأحاسيسهِ, ويزيدُ من حضورهِ الفعّال من خلال مشاركة الذات في الأسئلة ومحاورتها[٢٢]. فالقصيدة فالقصيدة ((جزءٌ مكتوبٌ من الشاعر عنه, واقتطاع موثق عن مشاعرهِ وتصورات مخيلتهِ, وتعبير يظلُ صادقاً...على حالات ذلك الشاعر ودواخلهِ))[٢٣].

فالشاعر يعمد إلى سؤال النفس بوصفهِ لون من ألوان التعبير عن الذات, وهو في ذلك يعبر عن حاجته الماسة إلى تحقيق الذات وطموحاتها كونها هي

---

[٢١]- ينظر: الحوار في الشعر العربي قبل الإسلام ,عبدالله علي صالح الجوزي, رسالة ماجستير,ص:١٥.

[٢٢]- ينظر: الأثر النفسي في تشكيل المعنى (دراسة تحليلية للصورة الفنية في المعلقات), محمد طه عبدالمعين المناوي, ص:١٢١.

[٢٣]- نقد الشعر في المنظور النفسي, ريكان أبراهيم :٧٦.

التي تعاني[٢٤]. من خلال طرح الأسئلة على الذات ومحاورتها يمكن للشاعر أنْ يعبرَ عن

ذاتهِ, ويحاور نفسهُ ويسألها ويتحدث عن مكنونات ذاته, ليكشف عما يجول فيها من حيرة وألم وفرح وسعادة.

فهو يوجه إليها الأسئلة ليغوص في غور النفس ليكشف عما في دواخلها ويغوص في غورها البعيد,فسؤال الشاعر لذاتهِ يعبر عن رفضه لعالمهِ الخارجي. ويشفُ عن انفعالاته النفسية والوجدانية التي يكشفها عن طريق السؤال. فهو يعد ((صورة من صور حوار الأنسان مع نفسهِ وهو يحاول من خلاله الغوص في اعماقهِ بحثاً عن حقيقتهِ وأملاً في فهم ما يجري حولهُ, أنها رحلة ذهنية تأملية يواجه فيها الشاعر أسئلة الوجود والمصير))[٢٥]. لذلك يعد سؤال الذات وسيلة من وسائل البوح بمكنونات النفس وطرح معاناتها, وهو مرآة لنفس الشاعر تتجسد فيها آلامُها. فالشاعر يندفع إلى التعبير عن ذاتهِ وعما يجول في داخلهِ من معاناة ومشاعر وأحاسيس واضطرابها, فالشعر هو ترجمة للأحاسيس والمشاعر.ويُحّدثُ بشار بن برد قلبهُ ويسألهُ لأنَّهُ سبب عذابهِ قائلاً[٢٦] :

ولا تُغررك مُـوعِدةٌ ((لحُبَّى)) فأنَّ عُدَاتُـها أنْزلَنَ جَدبـــــا

ألا يا قَلبُ هَلْ لكَ في التعزّي فَقَدْ عَذَبْتنِـي ولَقِيتُ حَسْبَـا؟

٢٤-ينظر: الأثر النفسي في تشكيل المعنى :١١٥.

٢٥- الأثر النفسي في تشكيل المعنى :١٢٠

٢٦- ديوان بشار بن برد,جمع وتحقيق وشرح فضيلة العلامة سماحة الأمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:١| ١٩١

وَمَا أصْبَحتَ تَأملُ مِنْ صَدِيقٍ يعُدُّ عَليك طُولَ الحُبِّ ذَنْبِـــا

إذْ يقيم بشار حواراً مع ذاتهِ ويجعل من قلبهِ شخصاً يحاورهُ ويقدم له النصح, ويعمد إلى هذا الأسلوب لكي يظهر مدى معاناتهِ وألمهِ من (حُبَّى) وصدودها فقد اختار أسلوب جديد لوصف معاناتهِ وهو حوارهُ مع قلبهِ وتقديم النصح لهُ فلا تغررهُ (حُبَّى) بمواعيدها. فهو ينادي قلبهُ ثم يسألهُ مستخدماً (هل) وكأنهُ ينتظر إجابةً على سؤالهِ بنعم أو لا, فيسألهُ إنْ كان يستطيع الصبر على ما بهِ من وجد. يرى بشار أنَّ

سبب معاناتهِ حبه لمن لا يقدر معاناته, لمن عذبه وجرح قلبه, ويلومهُ صديقهُ على طول حبهِ وهنا يظهر لنا وفاء الشاعر لمن أحب.

ويقول أيضاً[٢٧]:

فويلي من الحمى وويلي من الهـوى لأيِّـــهما أبـــغـــي دواء الطبـــائبِ
لقد شرقت عيني ((بعبدةَ)) غـــاديا ودبتْ لقتـــلى من هواهـــا عقاربـــي
فَوَ الله مَا أدْرِي أ بِي مِنْ طلابِهـــا جُنُونٌ أمْ اسْتَحدثَتْ إحْدَى العَجائـــبِ

يكشف النص عن هول ما يعانيهِ الشاعر من الحب فهو بين الحمى والهوى فلأيِّهما يطلب الدواء فكلاهما قد أضربهِ, فهو متحير أيجدُ دواء للحمى أم يجدُ دواء للهوى؟فقد أضربهِ حبهُ لعبدة. فهو لا يعلم ما بهِ من حبها أهو جنون؟ أم إنَّها من عجائب الدنيا ولكنَّها جديدة, ويظهر مدى تحير الشاعر وشدة قلقهِ لذلك لجأ إلى سؤال ذاتهِ ليخفف من قلقهِ وحيرتهِ. ونجد حوار الذات لشكوى الحب وتخفيف معاناتهِ[٢٨].

---

[٢٧]- ديوان بشار بن برد:١ | ٢٣١

١- المصدرنفسه :١\٣٤٩,٢٩١ ,٢ | ١٦٣, ٢٦٩, ٣٠٧, ٣ | ٩١, ١٣٧, ١٦٤, ٢٤٩

ويشكو ابن الدمينة إلى اليمن قائلاً[٢٩]:

أحِنُ إلى الرّمْلِ اليَمَانِي صَبَـــابَةً وَهذا لَعَمْــرِي لَوْ رَضِيتُ كَئِيبُ
فَأينَ الأَرَاكُ وَالسّنْـــدُ وَالغَضـــاْ وَمُستخْبَرٌ عَمَّنْ تَحْنُ قَرِيـــبُ؟
وَأينَ النّسِيمُ العَذبُ مِنْ نَحو أَرضِها يَجِيءُ مَرِيضاً صَوبه فَيطِيبُ؟
وَأنِي لأَرعَى النَّجْـمَ حَتى كأنَنّي عَلى كُلِّ نَجمٍ في السّماءِ رَقِيبُ
وَأَشْتَاقُ للبَرقِ اليَمَـــانِي إذا غَدا وَأزْدَادُ شُوقَاً أنْ تَـــهُبَ جَنُوبُ

يكشفُ النص عن شكوى الشاعر البعد وحنينهُ إلى اليمن فيسألُ نفسهُ حائراً يتحرقُ شوقاً وصبابةً إلى أرض اليمن فيسأل عما بأرض اليمن من الأراك وهو نوع من الحمض التي تتواجد في أرض اليمن وترعاهُ الأبل والسند وهو ما يقابل من الجبل وعلا عن السفح. يسأل الشاعر نفسهُ عن أماكن سكناه , فيسأل عن الشجر والأرض ويذكر كيف كان يرعى النجوم؟ كأنَّهُ رقيب على كل النجوم في السماء ويذكر اشتياقهُ لكل شيء حتى للبرق اليماني إذا لمع في السماء ويزدادُ شوقاً كلما هبت ريح الجنوب التي تذكرهُ بالماضي وما فيه من ذكريات فيقدم السؤال هنا جمالية للنص إذ عن طريق السؤال استطاع الشاعر ان يبثَ حنينهُ ويجعل القارئ يشاركهُ معاناتهِ. ويسأل ذاتَهُ في ذكر الأحبة قائلاً[٣٠]:

هَلْ القَلبُ عَنِ ذِكْرَى أُمَيمَةَ ذَاهِلُ؟ نَعَمْ, حِينَ يَمْشِي بِي إلى القَبرِ حَامِلُ
بِنَفسي مَنْ لا تَقْنَـــعُ النَّفْسُ دُونَـــهُ وَمَنْ لا يَنَالُ النَجْحُ فِيـــــهِ العَـــوَاذِلُ

يحاور الشاعر ذاتهُ ويسألها بحزن وأسى ويؤكد من خلال سؤال ذاتهِ للعواذل أنه لا ينسى ذكرى أُميمة ولا قلبهُ عن ذكرها ويؤكد عدم نسيانهُ لها إلاَّ

[٢٩]- ديوان أبن الدمينة,قام بشرحه وضبطه: محمد الهاشمي البغدادي: ١١
[٣٠]- ديوان ابن الدمينة : ١٨, ينظر المصدر نفسه : ٢٧, ٢٨

حين يُحمل إلى القبر. ونراهُ يسأل نفسهُ ويجيبها خلافاً لغيرهِ من الشعراء و إنَّما لجأ ليسأل ذاتَهُ ويجيبها لكي يؤكد للعواذل أنَّهُ لا يسلو عن ذكر أُميمة. فأُميمة هي من أحبتها نفسه فهي لا ترضى بغيرها فيقول إنَّ العواذل لن يصلو إلى غايتهم بوشي كلام بين الشاعر ومحبوبته.

فهذا سُلم الخاسر يسأل ذاتهُ حائراً مُتألماً حزيناً فيقول[٣١]:

عَينِ جُودِي بِـــــعَبرَةً تَهتَـــــانِ وَاندُبِي مَنْ أصَابَ رَيبُ الزَمانِ

وإذا مَا بَكَيتُ قَومـــــاً كِرَامـــــاً فَعَلَى مَالك أبي غَســـــانِ

أينَ مَعنٌ ابو الوليدِ وَمَنْ كـــا ـــنَ غِياثاً للهَالِك الحَيـــرانِ؟

طَرَقتهُ المَنون لا وَاهِي الحَبـــــ ـــل وَلا عَاقِـداً بِحلفِ يمـــانِ

وَشِهابٌ وَ أيـــــنَ مَثلُ شِهـــابِ عِندَ بَذل النَّدَى وَحرّ الطَّعَـــانِ؟

رُبَّ خَرقٍ رَزَئتُهُ من بَني قيـــ ـــسٍ وَخرقٍ رُزِئتُ مِن شَيبانِ

دَرَّ دَرُّ الأيـــام مـــــاذا أجنَـــ ـــت مِنْـــهم في لَفائِـــفِ الكِتـــانِ

إنَّ استخدام الشاعر السؤال في مرثيتهِ إنَّما هو حيلة فنية وشعرية يلجأ إليها الشاعر لكي يستدعي ذاتَهُ إلى الإفضاء والبوح بما في داخلها, فيقيم الشاعر مع نفسِهِ محاورةً يسأل ذاته ويجيب. إذا حشد الشاعر لشعورهِ بالحاجة إلى البوح بحزنهِ الكبير على (معن) واصحابِهِ, ومع تكرارهِ السؤال ليفصح عن حزنهِ نراهُ يبرز صفات المرثي وأصحابهِ وتبرز جمالية النص في توظيف السؤال وأسماء الأعلام توظيفاً صحيحاً.

---

[٣١]- شعراء عباسيون ,غوستاف فون غربناوم, ترجمها وأعاد تحقيقها: محمد يوسف نجم , راجعها : احسان عباس : ١١٨-١١٩

وهذا خليفة المسلمين هارون الرشيد في الصد يسأل ذاته حائراً متعجباً يقول[٣٢]:

إنَّ التِي عَذّبَتْ نَفْسِي بِمَـــــا قَدَرتْ كُلَّ العَذَابِ فَمَا أَبْقَتْ وَلا تَرَكَتْ
مَازِحْتُها فَبَكت وَاسْتَعْبَرَتْ جَزَعاً عَنّي , فَلَمَّا رَأتني بَاكِياً ضَحِكتْ
فَعُدتُ أَضْحَكُ مَسْرُوراً بِضَحكَتِها حَتى إذا مَا رَأَتْنِي ضَاحِكاً فَبَكتْ
تَبغِي خِلافِي كَمــا خَبَتْ بِرَاكِبِها يَوماً , قَلُوصٌ, فَلَمّا حَثَّها بَرَكتْ
أَلَيسَ مِنْ عَجَباً بَل زَادَنِي عَجَبــاً مَملُوكَةٌ مَلَكَتْ مِنْ بَعْدِمَا مُلِكَتْ؟
كَأَنَّها دُرَّةٌ قَدْ كُنْتُ أَذْخَرُهــــــا لِيومِ عُسرٍ, فَلَمَّا رُمْتُها هَلَكــتْ

يستخدم السؤال هنا ليبُث عجبهُ وحيرتهُ من أمر الجارية التي أحبها وهي لا تجود بوصلها معه . فهنا يدل الاستفهام دلالة مجازية فهو لا يطلب الاستخبار والإجابة عن السؤال وإنَّما التعجب فهو يتعجب من أمر الجارية بعد أن كانت مملوكة عند الخليفة هارون الرشيد أصبحت تملك قلبه. ونلاحظ من النص تودد الشاعر لصاحبته بينما هي تصد وتجفوه ويستخدم الشاعر ألفاظاً تدل على حبهِ وتوددهِ لمحبوبتهِ (مازحتها , أضحكُ , مسرور) ويوظف ألفاظاً تدل على رفضها له (عذبت , بكت , استعبرت) فهي تبغي خلاف ما يريد وهذهِ دلالة على صرمها الوصل. ويوظف الشاعر الثنائية الضدية في النص لِما لها من دلالة وجمالية وإبداع (ضاحك , بكت) .

٣٢- ديوان هارون الرشيد, جمعهُ وحققهُ وشرحه الدكتور سعدي ضناوي , ٢٦, ينظر : المصدر نفسه, ٤٨

فهذا العباس يكشف عن ذات حائرة يقول[٣٣]:

لعمري لقد كذب الزاعمـــــو ن أن القلوب تجازي القلوبـــا

ولو كان حقاً كمـــا يزعمون لما كان يجفـــــو حبيبٌ حبيبا

وكيف يكون كمـــــا أشتـــــهي حبيبٌ يرى حسناتي ذنـــوبا؟

ولم أرَ مثلك في العالمـــــــيـــ ـــن نصفاً كثيباً ونصفاً قضيبا

إنَّ السؤال يكشف ما في نفس العباس من حيرة وألم بسبب من أحب فهو يهجر من تُريد وصاله وتهجره من يريدُ وصالها. فيسأل ب(كيف) متعجباً! كيف يكون كما يريد هو؟ من قرب ووصل الحبيب وبالمقابل يرى كل حسناته ذنوب. أيّ أنه يعمد إلى سؤال الذات ومحاورتها ليخفف من الآمها ومعاناتهِ بما تلاقيه من الأحبة من صد وجفاء. وتتضح من تكرارهِ بعض الألفاظ (الزاعمون- يزعمون, القلوب- القلوب, حبيب - حبيباً), ويستخدم الطباق (حسنات- ذنوب) وهما لفظان متضادان ويستخدمهما الشاعر ليضفي جمالية وإبداع على نصه الشعري؛ لأنَّهما من فنون البديع التي يستخدمها الشعراء لتزيين النص الشعري وترك لمسات فنية رائعة وأكثر جمالية وشعرية على النص مما يجعل القارئ متفاعل مع النص الشعري وصاحبهِ .ويستخدم موسيقى خارجيه تتناسق مع أهاتهِ موظفاً الألف لمد اهاتهِ. ويكثر سؤال الذات لدى الشعراء لشدة يأسهم من قرب أحبتهم.

فيسأل أبو نواس ذاته فيقول[٣٤]:

سَأَشْكُرُ للذِكْرَى صَنِيعَتَها عِنْدِي وَتَمْثِيلَها لِي مَنْ أحبُّ على البُعـــدِ

٣٣- ديوان العباس بن الأحنف , شرح وتحقيق : عاتكة الخزرجي:١٠, ينظر المصدر نفسه :١٥, ٥١, ٥٤, ٨٣, ١٢٢, ٢٣٢, ١٨٤.

٣٤- ديوان أبي نواس, حققه وشرحه وضبطه: أحمد عبدالمجيد الغزالي: ٢٣٤

يُقَربـــــهُ التْذكَارُ حَتْى كَأَنَنِـــــي أُعَــاينهُ في كلِّ أحْوَالــهِ عنــدي
فَقَدْ كادَتْ الذّكْرَى تكون كأنــَّها مُشــاْهدَةٌ لولا التّوحشِ للفَقْـــــدِ
تمثل لي أن لا اقول على النّوى فَيا ليتَ شعري الذي أحدَثَتْ بَعْدِي؟
لأنَّي وَأنْ كُنتُ مِنْ الناسِ واثقٌ لنَفسي مِنْها بالدَّوامِ على العَهْـــدِ

يبثُ الشاعر شكواه من خلال استخدامهِ وسيلة الذكرى, فهو يشكو بعد الأحبة لولا الذكرى والتي يشكر صنيعها؛ لأنَّها قد مثلت لهُ أحبته في نسج خيالهِ. ويستخدم الذكرى لما فيها دلالة على أشياء حدثت في الماضي من لحظات سعيدة ولحظات قاسية مستخدماً دلالتها على الزمن الماضي أي إنَّهُ مفارق أحبته ولم يعد لديهِ شيء سوى الذكرى التي تمثل له أحبته, ولكنَّه على الرغم من صنيع الذكرى معهُ إلا أنهُ يفتقد أحبته ويحس بوحشة لفراقهم. من شدة ألمهِ يلجأ الشاعر إلى التمني وسيلة لتخفيف ألمه ومعاناتهِ ثم يسأل نفسهُ حائراً ما الذي احدثت, بعدهُ فهل تعاني مثله؟ فهو دائمٌ على عهدها. ونلاحظ مدى معاناته متجلية في نصهِ من خلال توظيفيهِ بعض الألفاظ (كالذكرى والتذكار والبعد والقرب والنوى)ففي هذهِ الألفاظ ما يفسر

ما في داخل الشاعر. فقد استطاع أبو نواس أن يجعل القارئ يتفاعل مع النص ويشاركهُ معاناتهِ, ويقول أيضاً [٣٥]:

يا نَفـــــــسُ كيفَ لَطفــتِ للصَـــــــبرِ حَتى صَبَرتِ؟
أَلَسْتِ صَاحَبْتِـــــــي يـــوَ مَ وَدَعُــونـــــــي أَلَسْتِ؟
يَا نَفْـــــــسُ لَيتَــكِ مَنــي يـــــوَمَ الفُـــــرَاقِ سَقَطْــتِ

[٣٥]- المصدر نفسه: ٢٣٧, ينظر المصدر نفسه : ٢٦٥, ٣٠٨

وَيـــــــــــلُ الفُؤادِ المُعنّـــى مِـــــنْ الفُـــــرَاق المُشْـــتِ

إنَّ دلالة الذات واضحة في النص, فالشاعر ينادي نفسهُ ثم يسألها حائراً متعجباً كيف صبرت نفسهُ يوم الفراق. ومن شدة حيرتهِ نراه ينادي نفسهُ مرتين ويسألها ويكرر السؤال على ذاته لشدة معاناتهِ من فراق أحبتهِ ويزحم النص بتكرار أساليب الطلب من نداءٍ واستفهامٍ وتمنٍ دلالة على معاناتهِ وعمق الصراع الذي تخضع لهُ الذات وتظهر دهشة الشاعر وحيرتهِ وتعجبهِ لصبرهِ وقت فراق أحبتهِ. ويسأل مسلم بن الوليد محاولاً بث شكواه قائلاً[٣٦]:

مَا للغَـــوَانِي لا يَدِينَ فُـــــؤادِي أيرِين حتفي أم يرين بـــــــعادي؟

شَوقٌ ألمَّ وَمُقْلَةٌ مَطْرُوفَـــــــــةٌ بِفُرَاق مُنْقَطع القَرِينـــــــةِ عَـــادِ

كَذَبَتْ ظنُونُكَ لَسْتَ راجِعَ ما مَضَى دَرسُ الصِّبا وَعُدتُ هُنَـــاكَ عَوادِ

يحاور الشاعر ذاته ويسألها عن فعل الغواني فهو يتساءل مندهشاً حائراً لمَ يبتعدنَ أ يردنَ موته في الفراق أم الابتعاد عنه؟ ويعمد الشاعر إلى استخدام الهمزة مع أم المعادلة كأنهُ يريدُ جواباً تصورياً أيردن حتفه أم بعاده ويلجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب ليخفف من حيرتهِ. وقد ألمَّ بهِ الشوق وعيناه مطروفة لفراق من أحب الذي

يعدهُ منقطع القرين أي لا شبيه لهُ ثم يحدثُ نفسهُ مكذباً ظنونه فلا راجعٌ ما مضى فيكشف الشاعر عما يجول في خاطره من شوق وألم.

---

[٣٦]- ديوان صريع الغواني ,عني بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور سامي الدهان: ٢٩٦

ولم يقتصر سؤال الذات وشكوى الاشتياق والبعد على الشعراء فها نحن نجد علية بنت المهدي تسأل ذاتها تخفيفاً لمعاناتها فتقول[٣٧]:

لَيْتَ شْعرِي مَتى يَكُونُ التَّلاقِي قَدْ بَرَانِي وَسَلَ جسمِي أشتاقِي؟
غَابَ عَنِي مَن لا أُسَميه خَوفــاً فَفُؤادِي مُعلَّـــقٌ بالتَّرَاقـــــي

تستخدم الشاعرة أُسلوب التمني (ليت شعري) وهو من الأساليب التعبيرية المتعارف عليها عند الشعراء لتفصح عما في داخلها وتدخل إلى السؤال فتسأل عن وقت التلاقي , واستخدام الشاعرة لـــ(متى) دلالة على الزمان ففيه دلالة على فراقها لمن تحب ويستخدم متى لدلاتها على الزمان فتوحي من خلال سؤالها على شوقها لمن تحب وطول فراقهما, فقد اتعبها الاشتياق وطول البعد وسل جسمها بسبب غياب من أحبت وهي لا تذكر اسمه خوفاً من الوشاة فقلبها بسبب ما تعانيه أصبح مُعلقاً بالترقوة. توظف الشاعرة التمني والاستفهام ودلالة أداة الاستفهام كي تشكو البعد.

فهذا أبو العتاهية يسأل ذاته قائلاً[٣٨]:

يا لنفس أين أبـــي وأبـــو أبـــي وأبوه, عدّي لا أبالك واحسبـــي؟
عُدّي فأني قد نظـــرتُ فلـــم أجـد بيـــي وبين أبيك حيـــاً مـــن أبِ
أفأنتِ ترجينَ السلامـــة بعدهـــم مهلاً: هديت لسمت وجه المطلبِ
قد مات ما بين الجنين إلى الرضيع مع إلى الفطيم إلى الكبير الأشيبِ
فإلى متى هـــذا أرانـــي لاعبـــاً؟ وأرى المنون إذا أتـــت لم تلعبِ

---

[٣٧]- ديوان علية بنت المهدي. جمعه وحققه الدكتور سعدي ضناوي, ٤٣

[٣٨]- ابو العتاهية أخبارهُ وشعرهُ, عني بتحقيقها: شكري فيصل :٧٣, ينظر المصدر نفسه :٨٥

نرى أن الشاعر يعبرُ عن حيرتهِ في هذا الوجود ويحاول أن يفهم فلسفة الحياة من خلال طرح الأسئلة على الذات ومحاورتها, إذ ينادي النفس ثُم يسألها عن أبيه واجدادهِ أين ذهبوا؟ ويكرر السؤال ب(أين) لشدة حيرته, وفي هذا الاستفهام دلالة على حقيقة عدم خلود الإنسان, وأنَّ كلَّ إنسان مصيره الموت فليعمل الإنسان لآخرتهِ ونلاحظ تكرار الشاعر للأسئلة وتأكيدهِ على حقيقة الموت والعمل لأجل الاخرة فهو يريد إثبات أنَّ الموتَ حقٌ ومصير لا مفر منه مقتبساً ذلك من القرآن ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ [٣٩]. وتكمن جمالية السؤال في أنَّ الشاعر استطاع أن يوصل ما أراد موظفاً الاستفهام والموسيقى الخارجية والداخلية واستخدامه البحر الكامل الذي تستطيع تفعيلاته أنْ تحتوي فكرة الشاعر. وأكثر ما نجدُ السؤال الذاتي أو سؤال الذات يتحقق في شعر الزهد والتصوف لِما في السؤال من قيمة في إيصال المعنى المراد. ولم يقتصر السؤال في الشعر على غرض الزهد وعند ابي العتاهية و أنما نجدهُ عند اكثر الشعراء يسألون ذاتهم.

وترتسم معالم الشوق والحنين على الخزاعي فهو يشكو حنينهُ لأهلهِ قائلاً[٤٠]:

أفِي كُلِّ عـــــامٍ غُرْبـــةٌ ونُزُوحُ ؟ أمَا للنَـــوى ونِيةٍ فَتُرِيحُ؟
لَقَدْ طَلَحَ البينُ المُشتُّ رِكَائِبِي فَهَلْ أرَينَّ البَينَ وَهْوَ طَلِيــحُ؟
وَذَكَرَنِي بالرَّيَ نَوحَ حَمَامــةٍ فَنُحتُ وَذو الشّجْوِ الحَزِينِ يَنُوحُ
عَلى أنَّها نَاحَتْ ولَمْ تَذرِ دَمعَةً وَنحتُ وَ اسْرَابُ الدّمُوعِ سفُــوحُ
وَنَاحَتْ وَفِرَاخَا بِحَيثُ تَرَاهُما وَمِنْ دُونِ أفْرَاخِي مَهَامَةٍ فِيحُ

١- سورة آل عمران , آية ١٨٥

٤٠ - الشعر والشعراء في العصر العباسي , مصطفى الشكعة : ٤٤٩

إنَّ طلاقة الخزاعي الشامية في قولهِ وهو يشكو الغربة والحنين إلى الأهل جعلتهُ يلجأ إلى سؤال ذاتِهِ ويشكو إليها كُثرة السفر والترحال باحثاً عن الاستقرار والراحة. ويكشف السؤال الذي يوجههُ الشاعر إلى ذاتهِ عن التغرب وكُثرة الأسفار ومعاناتهِ من النوى ومفارقة الأهل والأحبة, ويكرر السؤال داعياً على النوى أن يصيبهُ ما أصاب الشاعر من مفارقة الأحباب والبعاد . ويذكرهُ بالأحبةِ والأهلِ نوحُ الحمائم وهنا يشبه الشاعر نفسهُ وهو في غربتهِ بالحمامة ويشبه بكاؤَهُ بنوحها ولكن الفرق بينهما أنَّهُ ينوحُ وتذرفُ الدموع على خديه ويشبه كثرت دموعهِ كأسراب الطيور وعمد إلى هذا التشبيه دلالةً على شدة بكائهِ وغزارة دموعه ويبين الشاعر فرقاً أخر بينهُ وبين الحمامة النائحة فهي تنوح وهي ترى صغارها وهوينوح؛ لأنَّهُ بعيد عن صغارهِ. يوظف الشاعر إلى جانب السؤال ألفاظاً تبين حزنه وألمه وأكثر من أفعال البكاء كي يصل إلى مبتغاه فنراهُ يكرر(ناحت – تنوح–نُحتُ – شجو – حزين – الدموع). وبحزن شديد يرثي الشعراء الأُمراء والخلفاء والوزراء وكبار الدولة ومن أحبوهن وصاحبوهم فيلجؤون إلى محاورة الذات وسؤالها للتخفيف من ألم معاناتهم . ويشكو أبو تمام الشوق فيقول سائلاً ذاته[٤١]:

مَا عِهْدنَا كَذَا نَحِيبُ المَشُوق ... كَيفَ وَالدّمْـــــعُ آيَة المَعْشُوق؟

فَأقلَا التَعْنِيفَ إنَّ حَرَامـــاً ... أنْ يَكُون الرَّفِيقُ غَيـــــرَ رَفِيق

وَاسْتَمِيحا الجُفُونَ دَرَةَ دمْعٍ ... في دُمُوعِ الفُرَاق غَيرِ لَصِـــيق

[٤١]– شرح ديوان أبي تمام, شرح الخطيب التبريزي, قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الاسمر : ٢\٤٥٢-٤٥٣ .

ينكر الشاعر على نفسهِ النحيب, ثم يتساءل متعجباً كيف لا أنتحب والمعشوق قد بكى فكيف يصطبر والذي هو مغرمٌ بهِ باك. ويطلب أن يقل الرفيق من لومهِ والتعنيف فهو مغرم . وأنَّ دموعه دائمة على فراق أحبتهِ فهو ليس يدعي الدموع و إنَّما دموعه لصيقة في وجناتهِ, فهو يشكو البعد ويعاني مثلما يعاني معشوقه.

ويشكو اسحاق الموصلي الحنين إلى بغداد قائلاً[٤٢]:

يَا حَبَذا رِيــحُ الجنُوبِ إذا بَدَتْ في الصُّبحِ وهي ضَعِيفةُ الأنْفَاسِ
قَدْ حَمَلَتْ بَرد النَّدَى وَتَحَمَــلَتْ عَبقــاً مِنْ الجثْجَاثِ والبسبَاسِ
ماذا تَهيْجَ مِنْ الصَّبابةِ وَالهَوى للصُبِّ بَعْــدَ ذهُولهِ وَاليَاسِ؟

يقوم النص على أسلوب المدح بالفعل الجامد في مدح ريح الجنوب الهادئة وما تحملهُ معها من عبق الزهور الطيبة والندى ثم يسأل نفسهُ بعد أنْ يوجز في وصف هذهِ الريح ماذا تهيج هذهِ الريح عند مجيئها للمحب غير الهوى بعد وصولهِ مرحلة اليأس من الأحبة؟ ويلجأ الشاعر إلى توظف الريح؛ لأنَّ فيها الرائحة الطيبة تذكرهُ بالصبابة والهوى, لأنَّ الريح تجلب لهم رائحة الأحبة رغم البعد.

وترتسم على إبراهيم بن العباس معالم الحزن لوفاة الفضل بن سهل فيوجه السؤال إلى نفسهِ قائلاً[٤٣]:

إحْدَى المُلِمــاتُ الجَلائِلُ أَودَتْ بِفَضــــــــلٍ وَالفَضــــائِلُ

---

[٤٢]- ديوان اسحاق الموصلي , جمعه وحققه: ماجد أحمد العزي : ١٤٤

[٤٣]- الطرائف الادبية , ابراهيم عباس , صححه وخرجه وعارض على النسخ المختلفة: عبد العزيز الميمني: ١٧٣-١٧٤

يـــا ذا الرئاسَةِ وَ السيِـــــا سةِ وَأينَ سَـــــــادتُها الأوَائـــلُ؟
آنستْ بِبـــهجتِكَ القُبُـــو رُ وَأوحَشَـــتْ مِنْكَ المَنَـــــازِلُ
اليـــوم عُـــطِلتْ الفُـــــــرُو ضُ وَصَالَ بالإسْلامِ صَائِلُ
مَـــنْ للعَـــديمِ ولَـــلغَرِيـــ ـــمِ وَلليتامَى وَالأرَامـــــلُ؟
مَـــن يَحْمِـــلُ الخَطبُ الجَليـــــ ـــلُ وَيَبِـــطلُ البَطلُ الحَلاحِلُ؟

يظهر الشاعر مدى حزنهِ وفزعهِ لوفاة الفضل بن سهل, ويرثيهِ بأجمل العبارات والمعاني. ويظهر من خلال مرثيتهِ منزلة الفضل الرفيعة وحكمتهِ في تولي الأمور والسياسة ويظهر مدى خسارتهم للفضل فبهِ تأنس القبور وتزداد بهجتها وتوحش المنازل والدُنيا لفراقهِ. فيرى وفاتَهُ أمراً جللاً, فمن يكون للناس بعد وفاتهِ من يكون للفقير وصاحب الدين واليتامى والأرامل من يحمل الامور العظام ويكرر السؤال من شدة حزنهِ فوفاة الفضل لم تحزن الشاعر نفسهِ فقط وتفزعهِ و إنَّما افزعت وأحزنت جميع الناس فمثل الفضل خسارة للأُمة وتبرز أهمية السؤال هنا في أنهُ قد أوصل للقارئ أهمية المرثي.

وهذا الحارثي[٤٤] يسأل ذاتهُ لشدة حيرتهِ قائلاً[٤٥]:

فَوَ الله مَا أدْرِي أيَغْلِبُني الهَـــوَى إذا جِـــدَّ جَـــدُّ البَينِ أمْ أنا غَالِبُهُ؟
فَإنْ استَطع أغلبْ وأنْ يغلبَ الهَوَى فَمِثْلُ الذي لاقَيتُ يَغلبُ صَاحِبهُ

إذْ يبدأ الشاعر بالقسم لشدة حيرته لما في داخله من صراع فهو متحير فيسأل ذاته أيغلبهُ الهوى أم هو يغلب الهوى؟ فهو متحير من شدة حبهِ ومن شدة الهوى

٤٤- هو عبدالملك بن عبد الرحيم الحارثي, يكنى بأبي الوليد, من شعراء العصر العباسي الاول.
٢- الحارثي حياتهُ وشعرهُ, جمع وتحقيق ودراسة زكي ذاكر العاني : ٥٦

فمثل الذي يعانيه الشاعر من الهوى يغلبهُ لامحالة فهو يؤكد حبه, وبلوغ الهوى إلى أعلى المراتب في داخلهِ.

وتسأل ريا[٤٦] ذاتها قائلةً[٤٧]:

أَقُولُ وَقَدْ أبصرَتْ صُـــــــــورةَ جَعفَرإمَامُ الهُدى وَالفُتحِ ذي العزِّ والفَخرِ

أشَمسُ الضُحى أمْ شبهُها وَجهُ جَعفرٍ وَبَــدرُ السَّماءِ الفَتحُ أمْ شبهه البَدرِ؟

فالشاعرة تحاور ذاتها وتسأل نفسها وتستخدم البديع لبيان صورة الممدوح فهي تسأل نفسها أهي شمس الضحى أم هو وجه جعفر فهي حائرة أهذا النور والضياء هو شمس الضحى أم وجه جعفر. ثم تكرر السؤال على ذاتها أبدر السماء أم هو وجه جعفر, وتستخدم الشاعرة الشمس والبدر لدلالتهما على الكرم والشجاعة والجمال وهذا ما اجتمع في الممدوح. وبحزن وأسى تسأل محبوبة[٤٨] ذاتها وهي تبكي حزناً على المتوكل تقول[٤٩]:

٤٦- ريا: من الاماء الشواعر وهي أحدى جواري المتوكل.

٤٧- الاماء الشواعر, لابي فرج الاصفهاني, تحقيق د-جليل العطية : ١٥٥

٤٨- محبوبة: جارية المتوكل شاعرة مغنية متقدمة على طبقتها في الحالتين حسنة الوجه مولودة.

٤٩- الاماء الشواعر : ١٦١-١٦٢, ينظر المصدر نفسه : ١٦٢

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أبو العتاهية , أشعاره وأخباره, عني بتحقيقها: شكري فيصل, مطبعة جامعة دمشق, ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

- الإماء الشواعر, أبو الفرج الأصفهاني , تحقيق: جليل العطية, بيروت دار النضال, ط١, ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- البلاغة العربية قراءة ثانية, محمد عبد المطلب, بيروت, مكتبة لبنان, (د. ط) , ١٩٩٧م.
- تاج العروس, محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني, أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي(ت ٢٠٥)هـ, المحقق: مجموعة محققين, دار الهداية, (د. ط).
- التعريفات , السيد علي بن محمد الجرجاني , بيروت – لبنان , دار الكتب العلمية , ط١ , ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الحارثي, حياته وشعره , جمع وتحقيق ودراسة: زكي ذاكر العاني, الجمهورية العراقية , وزارة الثقافة و الأعلام , سلسلة كتب التراث , دار الرشيد للنشر , ١٩٨٠م.
- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية , قراءة نقدية لنموذج معاصر , عبدالله محمد الغذامي , مصر , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ط٤ , ١٩٩٨م.
- ديوان أبي السري أبن الدمينة الخثعمي عبدالله بن الدمينة , قام بشرحه وضبطه: محمد الهاشمي البغدادي , طبع بنفقته ونفقة محي الدين رضا ,مصر , مطبعة المنار ,ط١ , ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م.
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ , حققه وشرحه وضبطه: أحمد عبدالمجيد الغزالي , بيروت – لبنان , دار الكتاب العربي.

- ديوان أسحاق الموصليّ , جمعه وحققه : ماجد أحمد العزي , بغداد , مطبعة الأيمان , ط١, ١٩٧٠م.
- ديوان بشار بن برد , جمع وتحقيق وشرح فضيلة العلامة سماحة الأمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور , الجزائر , عن وزارة الثقافة العربية , ٢٠٠٧م.
- ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد(ت ٢٠٨)هـ , عني بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور سامي الدهان , القاهرة , مصر , ط٣.
- ديوان العباس بن الأحنف , شرح وتحقيق : عاتكة الخزرجي , القاهرة , دار الكتب المصرية , ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.
- ديوان علية بنت المهدي , جمعه وحققه : سعدي ضناوي , بيروت – لبنان , دار صادر , ط١ , ١٩٩٧م.
- ديوان هارون الرشيد , جمعه وحققه : سعدي ضناوي , بيروت – لبنان , دار صادر , ط١ , ١٩٩٨.
- شرح ديوان أبي تمام , شرح الخطيب التبريزي , قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر , بيروت , دار الكتاب العربي , ط١ , ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- شعراء عباسيون (دراسات نصوص شعرية) ,غوستاف فون غربناوم, ترجمها وأعاد تحقيقها: محمد يوسف نجم , راجعها : احسان عباس , بيروت , منشورات دار الحياة.

- الشعر والشعراء في العصر العباسي , مصطفى الشكعة , بيروت , دار العلم لملايين , ط١, الطبعة الثالثة , ١٩٧٣م.
- الشعرية أحمد مطلوب
- الطرائف الأدبية , صححه وخرجه عارض على النسخ المختلفة وذيله: عبدالعزيز الميمني, بيروت – لبنان , دار الكتب العلمية, ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
- الفروق اللغوية , الأمام الأديب اللغوي ابي هلال العسكري , تحقيق : حسام الدين القدسي , بيروت – لبنان , دار الكتب العلمية , (د. ط),(د. ت) .
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) , أبو البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكندي , تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري , ط٢ , ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- لسان العرب, محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين أبن منظور(ت ٧١١)هـ, بيروت , دار صادر , ط٣ , ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس (ت٧٧٠)هـ, بيروت, المكتبة العلمية, (د. ط), (د.ت).
- معاني النحو, تأليف : فاضل صالح السامرائي, عمان– الأردن, دار السلاطين, ط١, ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

- معجم الصحاح قاموس عربي – عربي , الأمام اسماعيل بن حماد الجوهري ,اعتنى به : خليل مأمون شيحا , بيروت – لبنان , دار المعرفة , ط١ , ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- معجم لغة الفقهاء , محمد رواس قلعجي , حامد صادق قنيبي, دار النفائس للطباعة والنشر ,ط٢ , ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- المعجم الوسيط , ابراهيم مصطفى , أحمد الزيات , حامد عبدالقادر , محمد النجار , دار الدعوة , (د. ط), (د. ت).
- مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم) , حسن ناظم ,بيروت , المركز الثقافي العربي , ط١ , ١٩٩٤م.
- نقد الشعر في المنظور النفسي , ريكان ابراهيم , دار الشؤون الثقافية العامة , ط١ , ١٩٨٩م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

- الأثر النفسي في تشكيل المعنى دراسة تحليلية للصورة الفنية في المعلقات (رسالة ماجستير) : محمد طه عبدالمعين المناوي , جامعة الموصل ,أشراف الدكتور مؤيد محمد صالح اليوزبكي , ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
- الحوار في الشعر العربي قبل الإسلام (رسالة ماجستير) : عبدالله علي صالح الجوزي ,قسم اللغة العربية وعلوم القرآن – جامعة صدام للعلوم الإسلامية, بغداد.

أيُّ عَـــــــيشٍ يَطِيـــبُ لِي لا أرَى فِيـــــــــه جَعفَـــــرَا؟
مِلِـــــكاً قَـــــدْ رَأتهُ عَيـــ ـــني طَرِيحـــــــاً مُعَفَـــــرا
كُلُّ مَن كَانَ ذا سُقَـــــــــــا مٍ وَحُـــزنٍ فَقَـــــدْ بـَــــرَا
غَيرُ مَحبُـــــــوبةٍ التـــــي لـــو تُرَى المَـــوتَ يُشـــتَرى
لأشتَـــــــرَتهُ بِمُلكِـــــــها كَي تُوارَى وَتُقبَـــــــــرا

حوار الشاعرة مع ذاتها يكشف ألم وحزن عميق بسبب فقدها لسيدها المتوكل. فهي تسأل نفسها سؤال فيهِ حيرة وتعجب كيف يطيب لها العيش وهي لا ترى جعفر(المتوكل) فقد رأتهُ طريحاً . وتؤكد شدة حزنها على المتوكل فكل حزن يبرى إلا حزنها. فلشدة حزنها تلجأ إلى السؤال لتخفيف من حزنها وتتمنى الموت ولوكان يشترى لاشترتهُ بمالها فهي تتمنى الموت عندما رأت استحالة عيشها بدون المتوكل لشدة حبها ووفاءها.

الخاتمة

- السؤال في الشعر الجاهلي حتى نهاية عصر بني أمية (أطروحة دكتوراه) : نبراس خماس , جامعة تكريت , أشراف الأستاذ الدكتور علي حسن جاسم الجنابي , ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

البحوث والدوريات

- الظواهر الأسلوبية في شعر حمادي بن نوح الحلي , اعداد عدوية عبد الجبار , مثنى عبد الرسول مغير , كلية الدراسات القرآنية – جامعة بابل , شبكة المعلومات الأنترنيت.

لكلِّ جهدٍ وعملٍ مبذول خلاصة, وقد بذلنا جهدنا في سبيل تحقيق غاية البحث ما استطعنا إليه سبيلا, وتوصلنا إلى جملة من الاستنتاجات التي تعزز بحثنا ومنها:

- إنَّ شعرية السؤال تتمثلُ في معرفته وتحديده والكشف عن أهميته داخل النص الشعري وما يقدمه من جمالية له؛ لأنَّهُ اللبنة الأساسية من لبنات البناء الشعري.واستخدام السؤال بدل من الاستفهام؛ لأنَّهُ أ شمل واكثرُ قرباً في الاستعمال الأدبي. فالسؤال يكون عما يعلمون وعما لا يعلمون.
- تنوع أدوات الاستفهام, واللجوء إلى المعاني المجازية لهُ؛ لأنَّها أشمل دلالة من المعنى الحقيقي, فالمعنى المجازي يزيد على المعنى الحقيقي دلالةً مما يُعطي النص بُعداً فنياً وجمالياً للنص.
- أن كثرة التكرار لاسيما تكرار السؤال إنَّما يدل على إصرار الشاعر والحاحهِ لشد انتباه المتلقي والبحث وراء الجواب, أما بالنسبة لتكرار حرف معين إنَّما هو ترجمة لنفسية الشاعر.
- صدود الحبيبة جانب مهم يدفع الشعراء إلى الاكثار من السؤال ولاسيما سؤال الذات وذلك لشدة حيرتهم ومعاناتهم.
- يعمد الشعراء إلى سؤال الذات ومحاورتها لتخفيف عما في دواخلهم من ألم وحزن.

الهوامش